وما سواها (294)

الخطابات والسلوك!!

د. صادق السامرائي
الطب النفساني، العراق / أمريكا

للخطابات التي يلقيها الساسة والقادة والمصلحون والذين لهم شأن ودور في المجتمع , تأثير سلوكي وأخلاقي في الحياة العامة

من الواضح أن مجتمعاتنا تفتقد الإدراك المعاصر لقيمة الخطاب ودور الكلمة في الحياة , مما يؤدي إلى الإسفاف والهذربة والتشويش والتدمير المتواصل للعقل والذوق والإرادة

الخطاب المتقدم يتناول موضوعات لها شأن إقتصادي ومتصل بهموم الناس وحاجاتهم الإنسانية , والمتأخر مشحون بالضبابية والعدوانية والإنفعالية , ولا تجد فيه سوى حديث الكراسي والمآسي , والتصارع على المناصب والإستحواذ على الثروات

الخطاب المتقدم من أولوياته الإقتصاد وحقن الدماء , والمتأخر يمعن بسفكها ولا يعنيه الإقتصاد , لأنه لا يهتم بالناس بقدر إهتمامه بتجارة المناصب والسلطات

للخطابات التي يلقيها الساسة والقادة والمصلحون والذين لهم شأن ودور في المجتمع , تأثير سلوكي وأخلاقي في الحياة العامة , ولا يمكن فصل ما يجري في أي مجتمع عمّا يدور في منابره المتنوعة , وما يسود في وسائله الإعلامية التي يتفاعل معها الناس.

فللخطابات تأثيراتها وقدراتها على صناعة السلوك البشري وصياغة التفاعلات الإجتماعية , وبواسطتها يتم تحديد معالم الأيام , وخصائص الحياة التي يعيشها الناس في أي مجتمع.

ومن الواضح أن مجتمعاتنا تفتقد الإدراك المعاصر لقيمة الخطاب ودور الكلمة في الحياة , مما يؤدي إلى الإسفاف والهذربة والتشويش والتدمير المتواصل للعقل والذوق والإرادة.

أولا: فحوى الخطابات!!

طبيعة الخطابات ما يميز الدول المتقدمة عن المتأخرة , والفرق واضح بينهما , فالخطاب المتقدم يتناول موضوعات لها شأن إقتصادي ومتصل بهموم الناس وحاجاتهم الإنسانية , والمتأخر مشحون بالضبابية والعدوانية والإنفعالية , ولا تجد فيه سوى حديث الكراسي والمآسي , والتصارع على المناصب والإستحواذ على الثروات.

وبإلقاء نظرة سريعة على خطابات ساساتنا وساستهم , تتضح الصورة وتتجلى الإرادات والنوايا وتتعرى الخفايا والمستورات.

الخطاب المتقدم من أولوياته الإقتصاد وحقن الدماء , والمتأخر يمعن بسفكها ولا يعنيه الإقتصاد , لأنه لا يهتم بالناس بقدر إهتمامه بتجارة المناصب والسلطات.

ومن الواضح أن طبيعة الخطاب السياسي تتناسب وواقع الأحوال في البلد , فكلما تنامت فيه المفردات الدالة على المعاني الإقتصادية والحاجات الأساسية , كلما تطور المجتمع وإستتب الأمن والسلام , وكلما إزدادت وتكررت فيه مفردات العدوان والتهديد والوعيد , فأن المجتمع يكون في منتكس ويعيش تحت وطأة الأهوال والتداعيات والويلات والفساد والإقتتال.

ولا يوجد خطاب في دولنا يهمه الوضع الإقتصادي والمعيشي للإنسان , إلا الخطاب المصري في السنة الأخيرة , حيث بدأ منطوقه يتغير ويتحول إلى خطاب متقدم يسعى لتأمين الأفضل للناس , ويعمل جاهدا لتحقيق الأمن الغذائي والمعيشي للمواطنين.

وهذه نقلة نوعية في الرؤية العربية التي لو تواصلت فأنها ستحقق تبدلا كبيرا في آلية التفكير العربي المعاصر , وتجعل الإنسان يدرك حقيقة مصالحه ومسؤولياته تجاه نفسه ومجتمعه والدنيا من حوله.

ويبدو أن مصر إذا نجحت في نهجها الجديد فأنها ستقدم للعرب نموذجا وقدوة لها قيمتها الحضارية , وتأثيراتها النوعية على الحياة في حاضرها ومستقبلها , وستنتشل الأجيال من غفوة العدم وتستنهض قدراتهم الكامنة اللازمة للتفاعل المبدع.

أي أن السلوك المصري ربما سينقل الأمة من حالة الركود والعجز وفقدان الثقة بالنفس , والشعور بالدونية والورائية والتبعية , إلى حالة الصيرورة الذاتية القادرة على توليد مفردات صناعة وجودها الأصيل , الكفيل بضمان سيادتها وقوتها وتحفيز قدراتها على الإتيان بما هو نافع ومفيد وجديد.

فالأمة ما أحوجها لتغيير خطاباتها على جميع المستويات , وإستخدام مفردات متفائلة متفاعلة مع عصرها , وذات طاقات إقتدارية كفيلة بالتوثب إلى حيث الأهداف والطموحات الإنسانية , اللازمة لإنبثاق ما فيها من أفكار وتطلعات ذات شأن إبداعي نوعي , ومؤثر في إنتقال الحياة إلى آفاق عوالم ذات معانٍ نبيلة سامية , مكللة بالأخوة الإنسانية الصالحة لخلق الله أجمعين.

فهل سنستثمر في خطاباتنا ونتعلم مهارات إقران الكلمات بالأعمال؟!

ثانيا: الخطاب الوطني المفقود والقول المنكود!!

المجتمعات الحية تمتلك خطابا وطنيا واضحا صريحا تجتمع عليه القلوب والعقول والنفوس , وتعتصم به جميع الإرادات الساعية للقوة والقدرة والعزة والرقاء , ولا يمكن لمجتمع أن يمضي في سكة الحياة المتصاخبة دون ذلك الخطاب الجامع المانع.

وهذا الخطاب يتضمنه الدستور وتحميه القوانين والسلطات التنفيذية والتشريعية والقانونية , وعندما لا تتوفر هذه المنطلقات في أي مجتمع فأنه يتحول إلى ساحة للقول المنكود , أي الذي يجلب النكد لأنه يساهم في تأجيج الأزمات وتعقيد المشكلات والإستثمار في الويلات.

ويبدو ذلك السلوك واضحا في المجتمعات التي غاب فيها الوطن وتميعت الدولة ككيان ومؤسسة , كما في بعض دول المنطقة الشرق أوسطية , التي تأججت فيها النزاعات التدميرية الفائقة القدرة على التهجير والتخريب وسفك الدماء.

كما أن المجاميع والفئات بأنواعها قد أصيبت بوباء الإنفلات والتمنطق بمفردات العدوان والإنتقام , وصار لكل حارة وشارع قائد ينطق وفقا لما يساهم في التعثر والغياب , وكلٌ يحسب نفسه صاحب القول الفصل والقرار الصائب , والآخرون أعداء ولا يجوز له أن يكون متفقا معهم على جواب.

ولهذا ترى التصريحات المتضاربة والآراء الفوضوية والكتابات الحَمَقية تطيش في الأيام , كأنها السهام الخائرة الحائرة التي اضاعت أهدافها وتعددت أوصافها وتسمياتها , وتخربت ديارها بيديها , لأنها صارت تُرمى "عامي شامي" (عشوائيا), وهي ترفع رايات الطيش والتيهان الأليم.

ولا يمكن لمجتمع أن ينجز شيئا وفيه أفواه تبوح بما تشتهيه من الكلمات والعبارات وفقا لحالتها النفسية ودرجتها الإنفعالية والعاطفية , ولكمية ما يحقن فيها من الأموال وما توعد به من الآمال واللذائذ والأحلام.

وعليه فأن من الضرورات القصوى أن يتوحد الخطاب في المجتمع , ويكون له ناطقا بإسمه ومعبرا عن إرادته الحرة الحية المتفقة ومصالحه وتطلعات أجياله.

ثالثا: إصلاح الخطاب الديني أم السياسي؟!

بعض الساسة العرب وقادتهم أخذوا يتحدثون عن إصلاح الخطاب الديني ويتجاهلون إصلاح الخطاب السياسي الذي هو الأساس , فلو كان الخطاب السياسي صالحا ومستوعبا وجامعا ووطنيا حقا , بمعنى

من الواضح أن طبيعة الخطاب السياسي تتناسب وواقع الأحوال في البلد , فكلما تنامت فيه المفردات الدالة على المعاني الإقتصادية والحاجات الأساسية , كلما تطور المجتمع وإستتب الأمن والسلام

الأمة ما أحوجها لتغيير خطاباتها على جميع المستويات , وإستخدام مفردات متفائلة متفاعلة مع عصرها , وذات طاقات إقتدارية كفيلة بالتوثب إلى حيث الأهداف والطموحات الإنسانية

المجتمعات الحية تمتلك خطابا وطنيا واضحا صريحا تجتمع عليه القلوب والعقول والنفوس , وتعتصم به جميع الإرادات الساعية للقوة والقدرة والعزة والرقاء

لا يمكن لمجتمع أن يمضي في سكة الحياة المتصاخبة دون ذلك الخطاب الجامع المانع.

عندما لا تتوفر هذه المنطلقات في أي مجتمع فأنه يتحول إلى ساحة للقول المنكود , أي الذي يجلب النكد لأنه يساهم في تأجيج الأزمات وتعقيد المشكلات والإستثمار في الويلات.

ترى التصريحات المتضاربة والآراء الفوضوية والكتابات الحَمَقية تطيش في الأيام , كأنها السهام الخائرة الحائرة التي اضاعت أهدافها وتعددت أوصافها وتسمياتها , وتخربت ديارها بيديها

يضع مصلحة الوطن والمواطنين أولا , لتأثر به الخطاب الديني وما وجد فرصة سانحة للإنتشار .

فالخطاب الديني إنعكاس للخطاب السياسي , وفي المجتمعات العربية التي يفسد فيها الخطاب السياسي ويكون مفعما بالفئويات والمناطقيات والتحزبيات , ترى الخطاب الديني ينساق وراءه ويحذو حذوه ويجدها فرصته فيكون مثله وأشرس.

فالمشكلة التي يتغافلها الساسة العرب أن الخطاب السياسي هو الأهم في رسم خارطة السلوك البشري , وأن الخطاب الديني عبارة عن صدى للخطاب السياسي , وهذا ماض على مر العصور وفي مختلف المجتمعات البشرية , وما نسميهم بوعاظ الكراسي أو السلاطين موجودين في جميع المجتمعات والديانات.

فالديني يعتاش على السياسي والعكس صحيح , لأن العلاقة متبادلة ومترابطة وتكاد تكون إعتمادية أو تكافلية , ولهذا فأن الدعوة إلى إصلاح النتيجة والإمعان في تأكيد السبب وتطويره , سلوك فيه من الإضطراب ما يشير إلى العمل المُغفل لصناعة الكوارث الإجتماعية والتداعيات المدمرة للبلاد والعباد.

وعليه فأن المطلوب أن يتحقق إصلاح حقيقي للخطاب السياسي , ويعمل القادة على كتابة الخطابات المدروسة والواعية المستوعبة البليغة , القادرة على توظيف الطاقات والقدرات لتحقيق تفعيل مشترك ما بين أبناء المجتمع , والوصول إلى أهداف ذات قيمة شاملة وطاقات تأهيلية , للأخذ بالناس إلى آفاق التقدم والرقاء , وعندها سينساق الخطاب الديني وراء الخطاب السياسي , ويكون عونا له ومعززا لخطواته الحميدة الطيبة.

لكن إحتشاد الخطاب السياسي بالعدوانية والبغضاء والإنتقامية والإقصائية والتهديد والوعيد والتخويف , والقسوة على المواطنين وأسرهم بالحرمان والركض وراء الحاجات , يؤسس لخطاب ديني مشحون بالسلبية والعدائية , فيخسر الوطن والمواطنون.

وعليه فمن الواجب على القادة العرب أن يتحوّلوا عن دعوات إصلاح الخطاب الديني أو الإصلاح الديني , والعمل الجاد والمجتهد على إصلاح الخطاب السياسي , وتأكيد الإرادة الوطنية الصادقة الجادة لإنجاز الإصلاح السياسي النافع للناس , وبهذا تكون الأوطان عزيزة ويعيش المواطنون بكرامة وقدرة على بناء الحياة المشرقة بحاضرها الجميل ومستقبلها الأجمل!!

رابعا: الخطابات النفسية الإحباطية!!

خطاباتنا وإنعكاساتنا على الحالات التي تحصل في الواقع العربي تتميز بالإحباطية واليأسية , والإحتراقية المدججة بالإنفعالية والمشاعر السلبية الناجمة عن الإغراق العاطفي والتوحد في الحالة.

بينما الواقع يتطلب منا قيما إيجابية وقدرات تحدي نفسي وإصرار على أن نتحقق ونكون , برغم الموجات الإنكسارية والإنتكاسية والخسرانية المتراكمة على جميع الأصعدة والمستويات , فالحياة أن نتحدى , والقوة في أن نتواصل ونؤمن بأن مانقوم به سيلهم الأجيال , وسيساعد في بزوغ فجر أروع وصباح أفضل وأيام أسعد.

ويبدو أننا كعرب لم نتمكن وحتى اليوم من ترجمة فكرة "إرادة الحياة" , التي عبّر عنها الشاب التونسي "أبو القاسم الشابي" في ثلاثينيات القرن العشرين.

إرادة الحياة التي تتلخص بالقدرة على ترجمة الأفكار إلى كينونات فاعلة في الواقع , وإلى موجودات مادية وسلوكية قابلة للتطور والمواكبة والنماء.

وهذا ما ينقص العقل والنفس والروح في بلاد العرب.

من الضرورات القصوى أن يتوحد الخطاب في المجتمع , ويكون له ناطقا بإسمه ومعبرا عن إرادته الحرة الحية المتفقة ومصالحه وتطلعات أجياله

بعض الساسة العرب وقادتهم أخذوا يتحدثون عن إصلاح الخطاب الديني ويتجاهلون إصلاح الخطاب السياسي الذي هو الأساس

الخطاب الديني إنعكاس للخطاب السياسي , وفي المجتمعات العربية التي يفسد فيها الخطاب السياسي ويكون مفعما بالفئويات والمناطقيات والتحزبيات , ترى الخطاب الديني ينساق وراءه ويحذو حذوه

المشكلة التي يتغافلها الساسة العرب أن الخطاب السياسي هو الأهم في رسم خارطة السلوك البشري , وأن الخطاب الديني عبارة عن صدى للخطاب السياسي

الديني يعتاش على السياسي والعكس صحيح , لأن العلاقة متبادلة ومترابطة وتكاد تكون إعتمادية أو تكافلية

أن المطلوب أن يتحقق إصلاح حقيقي للخطاب السياسي , ويعمل القادة على كتابة الخطابات المدروسة والواعية المستوعبة البليغة , القادرة على توظيف الطاقات والقدرات لتحقيق تفعيل مشترك ما بين أبناء المجتمع , والوصول إلى أهداف ذات قيمة شاملة وطاقات تأهيلية

فواقعنا شديد , لكن الأمم والشعوب الأخرى قد مرت بأشد منه وأقسى , وما خارت قواها وما سمحت للإحباط أن يتسرب إلى رؤاها وأعماقها.

وقد أعجبتني فتاة من البوسنة وهي تصف أيامها الصعبة في الحرب الشرسة مع الصرب بقولها: " كنا نأبى أن ننهزم فكريا ونفسيا , فهذا كان هدفنا الأكبر"!!

فلماذا تنطلق مفردات الهزيمة النفسية والفكرية من ذوي الشأن بالعلوم النفسية؟!!

ففي الحرب العالمية الثانية عاشت وارسو وباريس ولندن وبرلين واليابان أبشع وأقسى ما يمكن تصوره من حالات , وكذلك فيتنام في حربها المعروفة , لكن شعوبها نهضت وإنتصرت لأنها لم تنكسر نفسيا ولم تنهزم فكريا , وبقيت متمسكة بإرادة الحياة والإيمان بقدراتها على أن تتحرر وتكون.

وجميعها إنطلقت بطاقة مفكريها وقادتها الذين أوقدوا فيها روح الصمود والأمل والطموح وصدق الرجاء.

وفي عالمنا العربي تتكاثر خطابات وكتابات ونداءات الهزيمة والدونية والإنتكاس أمام كل نازلة وهجمة وسلوك وعدوان , وكأننا لا نملك نفوسا ولا عقولا ولا أرواحا , وأبداننا مفرّغة من طاقات البقاء والإنتماء.

ولهذا تجد تحليلاتنا وتفسيراتنا ذات نَفَسٍ إنكساري تبعي خنوعي دونَوي إستسلامي , ونحسب ما نقدمه على أنه دراسات وبحوث , وما هي إلا ردود أفعال سلبية على مواقف وأحداث نغرق فيها حتى الإنقطاع عن معنى الحياة وروح البقاء.

وبسبب ذلك فشل معظم مفكرينا وعلمائنا في تقديم البرامج الإحيائية لنهوض الأمة , فكانت رؤاهم ودراساتهم تبريرية ترسيخية , مما يفسر كثرة العقول المفكرة في الأمة وعجزها المروع عن الأخذ بيدها إلى جادة التقدم , والقدرة على التعبير عن جوهرها الحضاري السليم.

والمعنيون بالعلوم النفسية لا يشذون عن ذلك , لكن تقع عليهم مسؤولية تنويرية بحكم إختصاصهم ووعيهم النفسي والإدراكي , مما يتوجب عليهم أن لا يتسرّعوا في التفاعل الإنعكاسي مع الأحداث والمستجدات , وأن يقدموا ما هو إيجابي ومساعد على النهوض والإقدام , لا على القعود والإحجام.

إنها لخسارة كبيرة ومعضلة حضارية شديدة أن يسري الإحباط في أعماق ذوي الإختصاصات النفسية في أمة بحاجة إلى تأهيل نفسي وروحي وعقلي وسلوكي دائبٍ أصيل!!

و"إذا طمَحتْ للحياةِ النفوسُ...فلا بدَ أنْ يستجيبَ القدرْ"!!

خامسا: الخطب العدوانية!!

خطب الجمعة التي تحصل آلاف المرات كل إسبوع في مجتمعاتنا , ذات عدوانية واضحة وكامنة , ونادرا ما تجد خطبة ذات قيمة رحمانية وإنسانية , وتزيدك معرفة بالدين.

بل أنها خطب لشحذ الهمم ضد البشر , فأكثرها لا تعرف مفردات الرحمة والأخوة الإنسانية , وينبجس منها الغلو والتطرف والتعادي.

قد تقولون هذا إفتراء على الخطباء الذين يترجمون معاني الدين , وإن صح ما ترون , فعليكم أن تتأملوا محتويات الخطب , واحصوا مفردات الرحمة ومفردات العدوان فيها , ولو كانت رحماية لسادت الرحمة بين الناس , ولقل التنافر بين أبناء الدين.

خطب الجمعة صارت منابر إعلامية للحديث عن فكرة وإتجاه ما , بل مسيسة ومتحزبة وذات نَفس

يبدو أننا كعرب لم نتمكن وحتى اليوم من ترجمة فكرة "إرادة الحياة" , التي عبّر عنها الشاب التونسي "أبو القاسم الشابي" في ثلاثينيات القرن العشرين

إرادة الحياة التي تتلخص بالقدرة على ترجمة الأفكار إلى كينونات فاعلة في الواقع , وإلى موجودات مادية وسلوكية قابلة للتطور والمواكبة والنماء

أعجبتني فتاة من البوسنة وهي تصف أيامها الصعبة في الحرب الشرسة مع الصرب بقولها: " كنا نأبى أن ننهزم فكريا ونفسيا , فهذا كان هدفنا الأكبر"!!

في عالمنا العربي تتكاثر خطابات وكتابات ونداءات الهزيمة والدونية والإنتكاس أمام كل نازلة وهجمة وسلوك وعدوان , وكأننا لا نملك نفوسا ولا عقولا ولا أرواحا , وأبداننا مفرّغة من طاقات البقاء والإنتماء

إنها لخسارة كبيرة ومعضلة حضارية شديدة أن يسري الإحباط في أعماق ذوي الإختصاصات النفسية في أمة بحاجة إلى تأهيل نفسي وروحي وعقلي وسلوكي دائبٍ أصيل!!

خطب الجمعة صارت منابر إعلامية للحديث عن فكرة وإتجاه ما , بل مسيسة ومتحزبة وذات نَفس طائفي ومذهبي تناهض جوهر الدين

طائفي ومذهبي تناهض جوهر الدين.

فلا توجد خطبة خالية من النوازع السلبية , وهذا يفسر تعزيز السلوكيات الفاسدة في المجتمعات التي تتكاثر فيها الخطب.

ففي بعض المدن هناك عدة جوامع تقدم فيها خطب الجمعة , لكن الواقع الذي تعيشه فاسد مشحون بالنواكب , وتتكاثر فيه جراثيم الظلم وتنتهك حرمات وحقوق الناس , مما يعني أن الخطب لا قيمة لها في التربية والتعليم الديني القويم.

ومن المفروض أن تكون خطب الجمعة ذات تأثير عملي في حياة الناس , بما تقدمه من شواهد وبراهين وأدلة وأمثلة ذات قيمة إقتدائية عملية , لكنها تلجأ للوعظية وحسب , وتتصور حالات وتتصدى لها بلا قدرة على إستيعاب مفردات وعناصر الواقع الفاعلة .

ويمكن القول بأن الخطباء في حالة إنقطاع عن المجتمع الذي يخاطبون , وهناك مسافة شاسعة بين ما يتحدثون عنه وما يهم الناس ويتفاعلون معه كل يوم.

فخطب الجمعة لا تساهم في إزالة هموم الناس بل تزيدهم هما على همومهم!!

وتلك معضلة سلوكية تتفاقم آلياتها في مجتمعاتنا!!

وعليه فأن الحرص على تعزيز قيمة الكلمة ودورها في بناء النفوس , ومدّها بالتفاؤل وبطاقات الفرح والبهجة والسرور من خلال الإنجازات البرهانية المقرونة بالخطاب , هو الحل الأمثل لتعثرات الأمة , والأخذ بها إلى آفاق الفعل المعاصر الواثق الوثاب.

من المفروض أن تكون خطب الجمعة ذات تأثير عملي في حياة الناس , بما تقدمه من شواهد وبراهين وأدلة وأمثلة ذات قيمة إقتدائية عملية , لكنها تلجأ للوعظية وحسب

يمكن القول بأن الخطباء في حالة إنقطاع عن المجتمع الذي يخاطبون , وهناك مسافة شاسعة بين ما يتحدثون عنه وما يهم الناس ويتفاعلون معه كل يوم

أن الحرص على تعزيز قيمة الكلمة ودورها في بناء النفوس , ومدّها بالتفاؤل وبطاقات الفرح والبهجة والسرور من خلال الإنجازات البرهانية المقرونة بالخطاب , هو الحل الأمثل لتعثرات الأمة , والأخذ بها إلى آفاق الفعل المعاصر الواثق الوثاب

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa294-180321.pdf

*** *** ***

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2021 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الثامن)

الشبكة تدخل عامها 21 من التأسيس و 18 على الويب
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

اشتراكات العضوية بموسسة العلوم النفسية العربية للعام 2021

اشتراكات العضوية

عضوية "الشريك الفخري الماسي المميّز"

عضوية "الشريك الفخري الماسي"

عضوية "الشريك الشرفي الذهبي "

اهداء العضوية

- عضوية " الشريك الراسخ في العلم " (عضوية فخرية)

- عضوية "الشريك المُميّز " (عضوية الشرفية)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3